

التعدد الدلالي للكلمة العربية في "كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير" لابن المرزبان

The semantic multiplication of the Arabic word in the book of words: Writing and expression “by Ibn Al-Marzaban”

عاصم شحادة علي

يانغ روقن

Asem Shehadeh Ali¹

YANG RUIQIN²

ملخص البحث

إن المقصود بالدلالة المعجمية القديمة هو أن المترادف لفظ يتوافر في المعجم القديم، فالدلالة الحديثة لكلمة المترادف هي التي تشير إلى معنى الترادف في استعمال القاموس الحديث، ويهدف هذا البحث إلى دراسة الدلالات للمترادفات في كتاب (الألفاظ: الكتابة والتعبير لابن المرزبان) من الدلالة المعجمية القديمة والدلالة المعجمية الحديثة وفق السياق، ويهدف كذلك إلى دراسة وتحليل المترادفات المختارة بالاستعانة بالقواميس والمعاجم القديمة، وتجري المقارنة بين الدلالة المعجمية القديمة والحديثة، وتكتشف معنى الكلمة الواحدة في العبارات السياقية، وستتبع الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي. توصلت الدراسة إلى أنه ورد في باب التهاني والتهادي أن مفردات عبارة (باراً تقياً) تتضمن معاني سياقية دلالية تختلف حسب السياق، وأن في مطلب فيما يقال في جواب العزاء والمصاب جاءت دلالة المفردة (انشعاب) وعبر عنها بعبارات مختلفة ومفردات تتضمن المعنى نفسه أو القريب منه، وأن في مطلب في الشكر هناك عبارات متعددة تشير إلى عبارة (وأولاه بالحمد)، والمعاني بهذا متقاربة بألفاظ مختلفة تحمل معاني معجمية أحياناً أو سياقية، ومطلب في الأعدار وردت دلالات عبارة (ذني وإن عَظُمَ) بمعان عدّة، وجاءت في ضوء المعنى المعجمي الدلالي، ومطلب آخر في الطلب جاء معنى (دعامة من دعائم الكرم) في سياق المدح في الأصل والمعاني بذلك جاءت بعبارات مختلفة سياقياً، ومطلب في الشوارد وردت عبارة (ما تحركت) به الضمائر، فهي بمعنى لم يخالف شك في هذه الشاردة التي جاءت ببال الموصوف.

الكلمات المفتاحية: التعدد. الدلالة. الكلمة العربية. كتاب الألفاظ. الكتابة. التعبير. ابن المرزبان.

ABSTRACT

This research aims to study the semantics of synonyms in the book “al-‘alfaz’ by Ibn Marzuban. It analyses the synonyms selected with the help of old dictionaries and compare them with ancient

¹ أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

² طالبة ماجستير - قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

and modern lexical significance. The research also delves into the meaning of one word in contextual phrases by adopting the descriptive approach and analytical methodology. The study concluded that in the section of congratulations and conversion, the term "*Barran Taqiyyan*" includes semantic contextual meanings that differ according to the context. In the context of a request, it takes on a different meaning of consolation and affliction or "*Inshi'aab*". In the context demand in thanksgiving, there are multiple expressions referring to the phrase (*wa 'awlahu Bilhamd*), and the meanings of this are closely related to different words that carry lexical meanings. The phrase *Thanbi wa 'in 'azuma* are mentioned with several meanings, and they come considering the semantic lexical meaning. In another form of request, the meaning of *du'amah Min Da'aim al-Karam* implies praise while the phrase *Ma Taharrakat* contains no contradiction.

Keywords: *Semantic. Multiplication. Arabic word. book of words. Writing. Expression. Ibn Al-Marzaban.*

مقدمة

إن الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد.

فإن الترادف هو إحدى ظواهر تعدد المعنى في اللغة العربية؛ حيث وجدنا كثيراً من الدارسين يبحثون عن الترادف، وتم اختيار كتاب (الألفاظ: الكتابة والتعبير)³ لابن المرزبان الباحث (ت ٣٣٠هـ) بتحقيق حامد صادق قنبي وسوف يجرى البحث في الألفاظ التي ذكرها ابن المرزبان في كتابه عن طريق تحليل بعض المفردات؛ فثمة دراسات تناولت الترادف من القديم وحتى الحديث، وبحثت في مفردات اللغة العربية ودلالاتها اصطلاحاً، مثل كتاب (سر العربية وفقه اللغة)، وغيرها من الكتب التي تناولت المصطلحات ودلالاتها. الغرض الأساسي في هذا البحث هو اكتشاف مفهوم الدلالة للمترادفات في الكلمة الواحدة، وبيان السياق الذي ترد فيه، وأنواعها بشكل عام؛ حيث اختلف موقف اللغويين القدامى في ظاهرة الترادف، وتراوح موقفهم بين مثبت لوجود الظاهرة في العربية، وبين منكر لها، ويمكن أن نلمح هذا الخلاف من خلال ما نقله السيوطي في كتابه (المزهر) حكاية عن العلامة عز الدين بن جماعة في شرح (جمع الجوامع) قوله: "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسّم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً"⁴، فهذا النص يبين لنا اختلاف وجهات النظر حول ظاهرة الترادف بين علماء اللغة؛ حيث يمثل فيه ابن خالويه الفريق القائل بالترادف وأبو علي الفارسي الفريق المنكر له. وممن أنكر الترادف كذلك أحمد ابن فارس متأثراً

^١ انظر: أبو منصور محمد بن سهل بن المرزبان الأشل النهاوندي، كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير، دراسة وتحقيق: حامد صادق قنبي، (عمان: دار البشير، ١٩٩١م)؛ وفيه يتوافر كل الأمثلة التي تشير إلى ظاهرة الترادف.

^٢ انظر: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج ١، ص ٣٨٨.

بشيخه ثعلب حيث قال في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) في باب الأسماء وكيف تقع على المسميات: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام؛ فالاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، وكل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظهم فإنها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: (سيف، وعضب، وحسام)، وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو: مضى، وذهب وانطلق، وقعد، وجلس، وركد، ونام، وهجع؛ أما القائلون بالترادف فهم الغالبية العظمى ومن بينهم -فضلاً عما سبق ذكرهم- تعريف الترادف لدى ابن جني (ت 346 هـ)؛ حيث أشار إليه في كتابه (الخصائص) في (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) مستنداً به على وقوع الترادف بقوله: (وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به)، وفيه يحكم على من يُنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد، ويحاول أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس، وبين ذراع وساعد، بأنه متكلف، وقال آخرون: إن للترادف واقع، وله فوائد، وهو قول كثير ممن ألف في هذا الباب كابن خالويه، والفيروز آبادي، وغيرهم.⁵ إن ما يمكننا قوله في ختام هذا العرض هو إن الترادف أمر لا يمكن إنكاره، وينبغي التسليم بوقوعه في العربية، كما أن الخلاف الذي نشب بين علماء اللغة حول ماهية الترادف يعود بالأساس إلى أهميته البالغة؛ ولذلك يجب على دارس اللغة العربية العناية به؛ لأن كثيراً من معاني ودلالات المفردات في النص العربي قديمة وحديثة، تتوقف معرفتها بشكل دقيق على الإحاطة بموضوع الترادف، وهذا كان الدافع في بحثنا عن ترادف المفردة الواحدة في كتاب الألفاظ لابن المرزبان والسياقات التي وردت فيها.

أولاً: مفهوم الدلالة

لغة: مصطلح علم الدلالة في عرف اللغة مادة: (د-ل-ل) جاء في معجم متن اللغة (دَلَّةٌ دَلَالَةٌ مثلته والفتح أعلى، دُلُولَةٌ على الطريق وغيره، ودلولة بهذا الطريق عَرَفَهُ فهو دال ودليل).⁶ والدَّلَالَةُ والدَّلَالَةُ: اسم مصدر من دَلَّ.... الدَّال والدَّلِيل المرشد والكاشف.⁷ وفي (لسان العرب): (وقد دَلَّه على الطريق يدلُّه دَلَالَةٌ ودَلَالَةٌ).⁸

³ انظر: السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٤٠.

^٤ انظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة: دراسة وتطبيق، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦م)، ص ٢٣.

^٥ انظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠م)، ص ٤٤٣.

^٦ انظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٤٩؛ والجوهري، الصحاح، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١،

١٩٩٩م)، ج ٤، ص ١٣٩٠.

وعلم الدلالة يطلق عليه بأنه "دراسة المعنى" أو "العلم الذي يدرس المعنى" وبعضهم يسميه "السيمانتيك" (Semantique) أخذًا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية،⁹ ويقال له الدلالة أو الدلالة.¹⁰ ويكشف الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ كما أوردته المعاجم اللغوية، وسجلته النصوص عن أنه مصدر للفعل الثلاثي "دَلَّ".¹¹ وأما الدلالة فيمكننا أن نفسرها تفسيراً لغوياً على النحو الآتي:

1. الدلالة: من الفعل الماضي دَلَّ دلالة والدلال على السلعة، عرضها للبيع منادياً عليها، الدَّلَّأُ أطلق على

الوسيط بين البائع والمشتري أو ما يسمي سَمَسَارًا في هذا العصر.

2. الدلالة: من اسم لعمل الدلالة وما جعل للدليل أو الدلال أو الأجرة، والدلال الذي يجمع بين البيعين والاسم الدلالة،¹² ويصدر من فعل ماضٍ دَلَّ دِلَالَةً؛ أي أرشده وهداه أدَلَّ بالطريق عَرَفَهُ - اسْتَدَلَّ عليه، وطلَّبَ أن يَدُلَّ عليه، وجمعها دلائل أي ما يقوم به الإرشاد، البرهان المرشد. وقال ابن دريد: الدلالة، بالفتح، حرفة الدلال.¹³

3. الدلالة: تعني حِرْفُ الدَّلَّال: أي ما جعلته للدلال من الأجر.

فمن خلال التعاريف المذكورة يمكننا القول بأنَّ الدلالة لغةً، هي: مصدر مشتق من الفعل الماضي دَلَّ دِلَالَةً أي أرشده وهداه. ويهدف هذا إلى تحديد الكلمات الشائعة بالمشترك اللفظي والترادف والمتضادة ودراسة علاقاتها بالكلمات الأخرى في الجملة الواحدة.¹⁴

اصطلاحاً: وأما من حيث مفهومها الاصطلاحي، فهي علم يختص بدراسة معاني الكلمات، والتراكيب، والجمل، والعبارات، وغير ذلك من العلوم التي لها علاقة بعلم الدلالة.¹⁵

9 انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م)، ص ١١.

٩ انظر: محمد بنخير الحاج عبد الله، مباحث في علم الدلالة، (الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، ٢٠١٠م)، ص ٢٨.

10 انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٤٩. (باب دَلَّ)؛ وانظر: عبد الفتاح البركاوي، في الدلالة اللغوية، (القاهرة: الأزهر، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠م)، ص ٢٢.

12 انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٩.

13 انظر: محمد بنخير الحاج عبد الله، مباحث في علم الدلالة، ص ٢٨ - ٢٩.

14 انظر: المرجع السابق، ص ٢٩.

ويهتم علم الدلالة أيضاً اهتماماً كبيراً في مجال كيفية نطق الكلمة ومكان النبر وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها في لغة الحديث¹⁶ أو يدرس المعنى على المعاني اللفظية المفردة على نحو ما يجري في المجتمعات وما شابهها من كتب اللغة التي تعني بالثروة اللفظية، وتهتم بدراسة العلاقات بين الرمز اللغوي ودلالته أو تطور معاني الألفاظ من الناحية التاريخية بما في ذلك من تأثير المجاز لأساليب الكناية والاستعارة... إلخ.¹⁷

من خلال هذا التوضيح فإن الدلالة هي العلم الذي يركز على جانب المعنى أكثر من الجوانب الأخرى،¹⁸ كما أنه يختلف عن العلوم الأخرى كعلم البلاغة الذي يهتم بالجانب الأسلوبي، وعلم النحو الذي يهتم بجانب الحركات، والصرف الذي يهتم بجانب بناء الكلمة.¹⁹

وعلم الدلالة أعظم من العلوم الأخرى من حيث إنه يهتم بدراسة المعنى في الكلمة أو في الجمل، وبه يستفيد المتعلم العربي والأجنبي معرفة المعاني داخل الكلمة أو الجملة.²⁰

أما مفهوم الدلالة في علم اللغة الحديث - وفي التفكير اللساني الغربي على وجه الخصوص - فقد رفعته دروس فرديناند دي سوسير مكاناً عالياً، فالدلالة غالباً عنده عبارة عن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول داخل العلاقة اللسانية، ومن خواص هذه العلاقة يكون بين الدال والمدلول كمال الاتصال، وأن أحدهما يقتضي الآخر ويؤذن به، فتصوّر كل منهما مرهون بصاحبه، فلا يكون الدال دالا حتى يكون له مدلول، ولا يتسنى الكلام على المدلول حتى يكون له دال؛ إذ هو لا يوجد خارج العلاقة التي تربطه بالدال.²¹

ثانياً: مفهوم الترادف

لغة: ارتبط الترادف في اللغة بمعنى التتابع، فقد جاء في (مقاييس اللغة): الرّاء والدّال والفاء أصل واحد يدلّ على تتابع الشيء. يقال: نزل بهم أمرٌ فردّف لهم أمرٌ أعظم منه. والرّديف الذي يُرادفك، وأرداف النجوم: تواليها. وهذا أمرٌ ليس له ردّف: أي ليس له تبعه. والرّدف: ما تبع الشيء، وسميت العجيزة ردّفاً من ذلك. والرّدفان: الليل والنّهار، وإنما سميا

¹⁶ باللغة الإنجليزية يطلق عليها: (Standard Language)، ويسمى أيضاً اللغة الفصيحة.

¹⁷ انظر: محمد بخير الحاج عبد الله، مباحث في علم الدلالة، ص 29.

¹⁸ انظر: المرجع السابق، ص 30. ومن المعروف أن لكل علم له ميزته الخاصة، فعلم النحو له أسلوبه وميزاته عن علم.

²⁰ المرجع السابق، ص 30.

²¹ نور الهدى لوشن، علم الدلالة: دراسة وتطبيق، ص 27.

بهذا؛ لأن كل واحد منهما رِدْفٌ لصاحبه.²² وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع الرَدَائِيُّ. وقال الأصمعي: تعاونوا عليه وترادفوا بمعنى. ويقال: رَدِفْتُ الرَّجُلَ: إذا وكبت خلفه. وأردافٌ ورادِفُهُ الملوك في الجاهلية اللذين كانوا يخلفونهم في القيام بأمر المملكة بمنزلة لوزراء في الإسلام أو نحو أصحاب الشُرط في دهرنا هذا، والرَدَائِفَةُ أن يجلس الملك ويجلس رَدِيفُهُ عن يمينه، فإذا شرب الرَدْفُ قبل النَّاسِ، وإذا غزا الملك قَعَدَ الرَدْفُ في موضعه وكان خليفته على النَّاسِ حتى ينصرف.²³ والرَدْفُ في الشِّعْرِ: حرف ساكن من حروف المدِّ واللِّين يقع قبل حرف الرَّوِيِّ ليس بينهما شيء وسمي بذلك؛ لأنه ملحق في التزامه وتحمل مراعاته بالرووي فجرى مجرى الرَدْفِ للراكب أي يليه لأنه ملحق به.²⁴

فالترادف لغة: مصدر للفعل: ترادف، وترادف الشيء: تتابع، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وقولهم: الليل والنهار: ردفان، لأن كل واحد منهما يتبع صاحبه، وفلانٌ ردف فلان؛ أي راكب خلفه على الدابة، وقوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [سورة الأنفال: 9]؛ أي يأتون فوجاً بعد فوج، وقيل: متتابعين.²⁵

اصطلاحاً: أما الترادف²⁶ في كتب اللغة العربية، فمقيّد بالألفاظ المنفردة الدالة على معنى واحد، وهذا القيد يخرج الألفاظ المركبة الدالة على معنى واحد مثل: مَّ الشُّعْثَ وَأَصْلَحَ القَاسِدَ.²⁷ ومعنى ذلك أن يكون للمعنى الواحد أو المسمى الواحد ألفاظاً عدّة؛ بحيث تنصرف جميعاً للدلالة عليه.²⁸ وعرفه آخرون بأنه: "اختلاف اللفظين والمعنى بعد واحد".²⁹

²⁰ انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٥٠٣، ٥٠٤، مادة (ردف)؛ وانظر: الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١١٢٦، مادة (ردف)؛ وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١١٤، مادة (ردف)؛ وانظر: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨، ٢٠٠٥م)، ج ٣، ص ١٤٧.

²¹ انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١١٥-١١٨، مادة (ردف)؛ وانظر: الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١١٢٦، مادة (ردف)؛ وانظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٣، ص ١٤٧، مادة (ردف).

²² انظر: عبد القادر سلامي، من تراث العرب في المعجم والدلالة، (بيروت: دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٤م)، ص ٢٥١-٢٥٢.

²⁵ انظر: رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠١٦م)، ص ٧٠.

²⁶ انظر: عبد القادر، من تراث العرب في المعجم والدلالة، ص ٢٥٢، وجدير بالذكر أن أبا الحسن الرّماني عدّ "الترادف" و"التتابع" من الألفاظ المترادفة ضمن فصل خاص ضمّ إلى جانب اللفظين المذكورين: تواصل، وتوالت، وتواتر، وتراكم، واستداز، وألح، وأتسق، وانتظم، وتكاتف، وتوافق، وتكاوس؛ وانظر: الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، (القاهرة: دار الوفاء، ١٩٨٧م)، ص ٦٦.

²⁷ انظر: الرماني، مقدمة تحقيق الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، ص ٩.

²⁸ انظر: السيوطي، المزهري في اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٤٠٢؛ وانظر: محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ط ١، ١٩٨٠م)، ص ٤١٤.

²⁹ انظر: علي بن إسماعيل أبو المرسي بن سيده (المتوفي ٤٥٨هـ)، المخصص، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م)، ج ١٣، ص ٢٥٨.

الترادف في المصطلح اللغوي هو: دلالة عدّة كلمات مختلفة على المعنى الواحد، نحو: الشَّمول والعُقار والخندريس والرّاح والمدامة والصّهباء في الدلالة على الخمر، وفي تعريف للفخر الرازي نقله السيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللغة)؛ إذ يقول: الترادف هو الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد.³⁰ وقد عقد له ابن جني باباً سمّاه: بابٌ في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني،³¹ وقد مثّل له بالطبيعة والنحيطة والغريزة والنقيبة والضريبة والنحيزة والسجّية والطريقة والسجّية والسليقة، وقال الشريف الجرجاني في تعريفه للترادف موضحة الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمة: المترادف ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة، وهو ضدّ المشترك، أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه، كالليث والأسد.

والملاحظ أن مصطلح (الترادف) لم يُستعمل إلا في مرحلة متأخرة في القرن الرابع الهجري، وأول من استعمله أبو الحسن علي ابن عيسى الرقائي (ت ٣٨٤ هـ) في كتابه (الألفاظ المترادفة)، كما ورد طرحه عند أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه: (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها)؛ وأما قبل ذلك فعند سيبويه (ت ١٨٠ هـ) مثلاً: اختلاف اللفظين والمعنى واحد؛ نحو: ذهب وانطلق، وعند الأصمعي (ت ٢١٣ هـ): ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، وعند أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ): كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد.³²

ثالثاً: أنواع الدلالة

لا يقتصر موضوع الدلالة على المسائل التي تتصل بالألفاظ من حيث أصلها ونوع العلاقة التي تربطها بالمعنى التي تشير إليها، بل يتعدى ذلك إلى جانب أغنى وأوسع، هو أنواع الدلالة. فألفاظ اللغة من حيث دلالاتها أنواع ثلاثة، هي:

1. المتباين: وهو أن يدلّ اللفظ الواحد على معنى واحد، وهو أكثر اللغة.
2. المشترك: وهو أن يدلّ اللفظ الواحد على أكثر من معنى، فإن كانت دلالاته على معنيين غير متضادين فهو المشترك اللفظي، أما إذا كانت على معنيين متضادين فهو من باب الأضداد.

³⁰ انظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص388.

³¹ انظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص147.

³² أخذنا هذه المعلومات من: رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، ص٧٠.

3. المترادف: وهو أن يدلّ أكثر من لفظ على معنى واحد.³³

ومن الممكن أن يلحق بهذه الأنواع مسائل أخرى كالفروق والعموم والخصائص والإطلاق والتقييد. وهي من المسائل الدلالية التي عني بها اللغويون.

رابعاً: التعريف بابن مرزبان الباحث

لقد توهمت كتب التراجم بين ابن المرزبان الباحث، أبو منصور محمد بن سهل المرزبان المتوفى سنة ٣٣٠هـ، وبين ابن المرزبان الوزير، أبو منصور سهل بن المرزبان المتوفى سنة ٤٢٠هـ، ولعل السبب في هذا التوهم هو التشابه في الأسماء، واقتران الاسم الثاني بأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ) صاحب (اليتيمة)، و(فقه اللغة وسر العربية)، وما كان بينهما من مكاتبات ومداعبات، يقول محقق (فقه اللغة وسر العربية): عرفنا عن الثعالبي أنه نشأ في جوار الأمير أبي الفضل الميكالي، وفي ظل الوزير سهل بن المرزبان، تربط بينهم جميعاً صداقة ومودة، كشف لك عن بعضها شعره إليها،³⁴ وقد ترجم له أيضاً الثعالبي في كتابه (يتيمة الدهر في مجلس أهل العصر).³⁵

أما صاحبنا ابن المرزبان الباحث، فهو: محمد بن سهل بن المرزبان (بفتح الميم وسكون الراء وضم الباء)، ولأنه - أيضاً - كان يجب أن يكتفى بذلك، وأغلب الذين ترجموا³⁶ له أعادوا ما ذكره ابن النديم (ت ٣٨٠هـ) المعاصر لابن المرزبان، ومن هنا تأتي أهمية هذه الترجمة، حيث يقول ابن النديم معقّباً: فتحت عنوان قلّ أن نجد مثيله في (الفهرست)، فهو: (الباحث عن معني العلم) كتب ابن النديم: (واسمه محمد بن المرزبان الكرخي، ويكنى أبا منصور من أهل الكرخ، أحد البلغاء الفصحاء. وقال لي من رآه: إنه أشلُّ اليد،³⁷ وله من الكتب: كتاب المنتهى في الكمال، ويحتوي على اثني عشر كتاباً، وهي: كتاب مدح الأدب، وكتاب صفة البلاغة، وكتاب الدعاء والتحاميد، وكتاب الشوق والفراق، وكتاب

³² انظر: أبو حسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، الصاحبي، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩١٠م)، ص ٩٦-٩٧؛ وانظر: السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٣٦٨-٣٦٩، ج ١، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ وانظر إشارة سيبويه إلى مثل هذا في: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م)، ج ١، ص ٢٤.

³³ انظر: أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا، (القاهرة: الباي الحلبي، ط ٢، ١٩٧٢م)، ص ١٠.

³⁵ انظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، (القاهرة: دار الكتب العممية، 1983م)، ج 4، ص ٢٩١-٢٩٤.

³⁶ انظر ترجمته في: محمد بن إسحاق النديم المعروف (ت ٤٣٨هـ)، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (طهران: لا طبعة، ١٩٧١م)، ص ١٥٢؛ وانظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٠١م)، ج ٢، ص ٢٧؛ وانظر: عمر رضا كخالة، معجم الأدباء، (دمشق: لا طبعة، ١٩٦١م)، ج ١٠، ص ٨؛ وانظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت)، ج ٣، ص ١٤٣.

³⁷ الأشلُّ (بفتح الشين وتشديد اللام): من بيده شلُّ.

الحنين إلى الأوطان، وكتاب التهاني والتعازي، وكتاب الأمل والمأمول. وكتاب التشبيبات والطلب. كتاب الحمد والذم، وكتاب الاعتذارات، وكتاب الألفاظ. كتاب نفائس الحكم).³⁸

وأضاف صاحب (هدية العارفين) إلى ما ورد في الفهرست: (وُلِدَ ببغداد وعاش فيها توفي بها بعد ثلاثمائة).³⁹ وقال ياقوت في (معجم الأدباء) فيما نقله الصفدي منه: (لم تقع إليّ وفاته ولا شيء من شأنه، غير إني وجدت في كتابه المنتهى في الكمال: أنشدني ابن طباطبا الذي توفي سنة ٣٢٢هـ).⁴⁰

ومعنى ذلك أن ابن مرزبان كان حياً بعد سنة ٣٠٠هـ، وأنه توفي قبل وفاة ابن النديم صاحب الفهرست (ت ٣٢٠ - ٣٨٠هـ)؛⁴¹ ولكن ابن النديم لم يقابله بدليل قوله: (وقال لي من رآه إنه أشلّ اليد)،⁴² وعليه تكون وفاة ابن المرزبان بعد سنة ٣٢٠هـ، وعندها كان ابن النديم يافعاً، لذلك فعل وفاته كانت سنة ٣٣٠هـ. وعلى الرغم أن المصادر لا ترسم لنا صورة واضحة عن نشأته وسيرته، ولأن كتبه لم تحظَ بالتحقيق والنشر حتى ذكر صاحب كتاب المنتهى في الكمال.

عرض رمضان ششن، الباحث التركي المعاصر، كتاب (الأمل والمأمول) عن مخطوطة فريدة مكتوبة سنة ٦٧٠هـ؛⁴³ غير أنه نشره منسوباً إلى الجاحظ بعد أن حذف سياقة الأبواب الواردة في النص، وقد شك المحقق بنسبة الكتاب إلى الجاحظ، ولو أمعن النظر لوجد الحلّ في العبارة الأولى: قال الباحث: في تركيب الإنسان... إلخ. وعلى أية حال فيمّن المؤكد أن ابن المرزبان الباحث قد عاش في النصف الثاني من القرن الثالث، والثلث الأول من القرن الرابع، وتعتبر هذه الحقبة من أزهى الحقب التي عاشتها الحضارة العربية الإسلامية، فقد ازدهرت اللغة والثقافة. وابن المرزبان الباحث هو ابن هذه الحقبة الزاهرة، وقد غلب عليه الأدب والبلاغة والحكمة؛ ولكن يظهر أنّ السّمة الأدبية تطغى على شخصيته.

³⁸ انظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٥٢.

³⁹ انظر: البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٢٧.

⁴⁰ انظر: عمر رضا كخالة، معجم الأدباء، ج ١٠، ص ٥٨.

⁴¹ انظر: عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، (دمشق: دار الشرق، د.ت)، ص ٢٧٣ - ٢٧٦.

⁴² انظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٥٢.

⁴³ انظر: رمضان ششن، الأمل والمأمول، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط 1، 1967م)؛ حيث يقع الكتاب في 88 صفحة.

أما الأخبار التي ذكرها صاحب (الفهرست) وغيره، فلا تكشف لنا الكثير عن شخصيته، ولا عن شيوخه وتلاميذه سوى ابن طباطبا صاحب عيار الشعر.

ويبدو أنه آثر الابتعاد عن خدمة الخلفاء ودواوين الدولة، ولهذا حمل ذكره، ولعلّ لعاهته الجسدية الأثر في ذلك، فقد ذكر محمد بن إسحق النديم أنه كان (أشَلَّ اليد)، ومثل هذه العاهة تمنعه من الحضور في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء، ولعله كان معلماً للصبيان؛ لأن عناوين كتبه تشهد على ذلك: مدح الأدب، صفة البلاغة، والدعاء والتحاميد، والتهاني والتعازي، والأمل والمأمول، والحمد والذم، والاعتذارات. ولعلّ كتاب الألفاظ، وهو خاتمة سلسلة كتبه، تنويجٌ لمؤلفاته المدرسية،⁴⁴ وقد انصرف ابن مرزبان إلى التعليم، ثم ربما كانت له تجربة في الاغتراب، ويشهد على ذلك تأليفه كتاب الحنين إلى الأوطان، ولا بدّ أنه زار (أصفهان) ولقي ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) وهناك أخذ عنه شعره، وفي معجم الأدباء لياقوت الحموي أن (ابن طباطبا) لم يفارق (أصفهان) قط.⁴⁵

أما لماذا لُقِّب ابن المرزبان بـ (الباحث عن معتاص العلم) فالواقع أنه كان يرحب بهذا اللقب، فلقد وشّح بعض أجزاء كتابه بعبارة (قال الباحث) على ما نشهده في الكتاب الذي نشره الدكتور رمضان ششن (الأمل والمأمول).⁴⁶ خامساً: الإسهامات اللغوية لابن المرزبان الباحث:

كتاب الألفاظ يُعنى بتعليم اللغة العربية بطريقة علمية قوامها جَمْع طائفة شائعة من ألفاظ العربية ثم تصنيفها وتبويبها في سلك من التراكيب والجمل على شكل وحدات تحمل في نفسها طريقة استخدامها، والتعبير عن قيمتها ودلالاتها دون أن يحتاج القارئ إلى الشرح والتحليل أو الرجوع إلى المعجم.

فالمعجم كما هو معروف: (كتاب يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ومفرداتها بغية شرحها وإيضاحها شريطة أن يرتّب ترتيباً خاصاً)؛⁴⁷ أي أن محور المعجم الكلمة المفردة ويقوم على دعامتين أساسيتين هما: التعريف والتصنيف. ويحدد تمام حسان أهداف المعجم، ويحصرها فيما يأتي:⁴⁸

⁴⁴ انظر: عمر رضا كخالة، معجم الأدباء، ج2، ص ٢٨٥.

⁴⁵ انظر: مطالب الكتاب في الفقرة التالية لترى مدى التوافق بين مطالب كتاب الألفاظ وعناوين الكتب السابقة.

⁴⁶ أبو منصور محمد بن سهل بن المرزبان الأشل النهاوندي، كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير، دراسة وتحقيق: حامد صادق قنبي، (عمان: دار البشير، ١٩٩١م)، المقدمة.

⁴⁷ انظر: حامد صادق قنبي؛ دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح، (بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٩١م)، ص ١٩١.

⁴⁸ اقرأ تفصيلات أكثر في: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م)، ص ٢٢٤-٢٣٩.

1. تعليم الهجاء الصحيح للكلمة.
2. تعليم طريقة نطقها صوتياً.
3. تحديد نوعها الصرفي، لأنه يعطى مدخل الكلمة من حيث المادة، وعليه أن يعطى مدخلها من حيث الصيغة.
4. كما أن عليه أن يُعنى بشرحها وفق منهج معين، فقد يكون هذا المنهج وصفيًا، أو تاريخياً دلاليًا. ولكننا نرى أن منهج ابن المرزبان في كتابه الألفاظ قوامه الاستخدام اللغوي في إطار السياقات المتشابهة، وأن دراسة القواعد ليست إلا وسيلة لغاية، وهي: الاستخدام الفعّال من الناحيتين الشفوية الكتابية ومحاكاة النماذج الرفيعة؛ وحيث تبدو أكثر فائدة، وأكثر إيجابية وكما يوسّع دائرة التعبير وتكثير وسائله، ثم يسهّل تأدية المقصود بأيّ من العبارات المتساوية.

وهو بهذا المنهج يقترب مما يدعو إليه ناعوم تشومسكي صاحب النظرية التوليدية التحولية التي شرحة في كتابه التركيب النحوي Syntactic Structure الذي طبع في عام 1959م، ففي نظرية تشومسكي ذكر أنه ينبغي أن تكون القواعد قادرة على توليد أو إيجاد جميع الجمل، أي الجمل المقبولة لدى أبناء اللغة، وفي نفس الوقت ينبغي أن تكون القواعد محددة، حتى يمكن للدارس أن يسيطر على النظام الضروري وبخاصة من الناحية التركيبية، ولا يكون ذلك بحشو عقل المتعلم بالقواعد النظرية والإكثار منها، بل إن في تعزيز قدرة الأداء Performance عن طريق المحاكاة تحقيقاً للأهداف المرجوة.⁴⁹

وهذه القضية التي نحن بصددتها تخصّ علمي: التراكيب والدلالة: Syntax, Semantics، وتتصل بإمكانية نقل المعنى اللغوي إلى صورة تركيب لغوي آخر دون إخلال بالمعنى، وقد عرض لهذه القضية - قديماً - عبد القادر الجرجاني في (دلائل الإعجاز)، وللسيوطي بحث في كتابه (معتزك الأقران في القرآن) جمع فيه أقوالاً وتحليلات للعلماء في تفضيل قول الله تعالى: ﴿ولكم في القصص حياة﴾ [سورة البقرة: 179]، أو على قول العرب: القتل أنفى للقتل؛⁵⁰ حيث وضع النصين في ميدان المفاضلة، وبيّن أن النصّ القرآني يفضل قول العرب بعشرين وجهاً، وذكر أوجه العشرين، إذا ما زالت القضية تطرح التساؤلات الآتية:

⁴⁹ انظر: جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، (دمشق: وزارة التعليم العالي بسوريا، ط1، 1982م)، ص195 - 204.

⁵⁰ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والحطايي وعبدالقاهر، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص24.

● هل المعاني تختلف باختلاف التراكيب والصور اللغوية المؤدية لها؟

● هل بإمكان نقل المعنى من عبارة إلى أخرى؟

● هل الترادف على مستوى التراكيب أمر ممكن أو مستحيل؟

ولإيضاح نعرض مثلاً من كتاب ابن المرزبان (المدخل ١٦٤ - ١٦٨):

التركيب الأساس: (إنه لما كان الرؤساء يُنعمون النظر في اصطناع مَنْ يَصْطَفون لخدمتهم فَيَتَوَخون أقرئهم سبياً).

توزيع التركيب الأساس إلى وحدات (عبارات):

مدخل 164

إنه لما كان الرؤساء = = = أهل السيادة = = = أولو الفضل = = = مقتنو السؤدد = = = زائدو المعروف =
= = الراغبون في المكارم = = = البانون المجد = = = المتقلبون في السيادة = = = المقتفون آثار الفضل = =
= المتبرعون بالعرف = = = المستقلون بعبء الرئاسة = = = المضطعون برعاية الذمام = = = الملون للنعم
الجسام = = = المعانون على النيات = = = الموفون بعهد الولاء،

مدخل 165

ينعمون النظر = = = يثقفون الرأي = = = يُجِيلُونَ الفكر = = = يجتهدون في الاختيار = = = يهذبون التمييز =
= = يتقنون الإصابة = = = يتأملون الاغتنام = = = يشحذون التدبير = = = يجيلون اللب = = = يعزمون بالعقل =
= =

مدخل 166

في اصطناع مَنْ يَصْطَفون لخدمتهم، = = = يستصلحون لصحبتهم = = = يرتبطون لمهاتهم = = = يختارون
لاصطناعهم = = = يؤهلون لاعتقادهم = = = يرونه للسعي في أمورهم = = = ينحلونه أياديهم = = = يجعلونه
موضع حرمتهم = = = يتنافسون في ادّخارهم = = = يقضون بالحرمة عليهم = = = يؤمّلون الكفاية منه = = =
يستكفونه لشؤونه = = = ينهضونه في أسابهم = = =

مدخل 16

فَيَتَوَخون = = = يعتقدون = = = يصطنعون = = = يسترقون = = = يستخدمون = = = يستنهضون = = = يغرسون =
= = يقصدون = = = يعمدون = = = ينتحون = = = يتسمّتون = = = يحتذون = = =

مدخل 168

أقربهم سبباً = = أصدقهم مولاة وقدماء = = أسلسهم في طاعتهم انقياداً = = أوجبهم لحقه أداء = = أشدهم
بالغاية نحوضاً = = أولاهم بالمنن قياماً = = أشهرهم بالشهامة خُبراً = = أعلاهم في الكفاية ذكراً = = أوفاهم
بالنعمة حقاً = = أبرعهم آلة = = أكملهم أداة = = أكثرهم معرفة = = أقدمهم صُحبة = = أحمدهم
مذهباً = = أنقاهم سريرة = = أخلصهم دخيلة = = أصحهم طويّة = = أشكرهم يداً = = أقواهم بالشكر
اضطلاعا = = أكملهم نفاذاً = = أوفرهم براعة = = أمحضهم نيّة.

فالذي يبدو للوهلة أن هذا الذي قدّمناه نوع من الترادف، وهو ترادف في مستويات ثلاثة، هي:

1. مستوى الترادف في التراكييب.
2. مستوى الترادف في العبارة- الجملة غير التامة- أو ما يطلق عليه مصطلح Paraphrase، التعبير المماثل.
3. مستوى الترادف في المفرد.

والتعريف العام للترادف الذي نراه في ضوء ما ذكرناه من تعريفات القدامى والمعاصرين أنه: (دلالة الألفاظ المختلفة على المعنى الواحد) مثل: ذهب وغدا وانطلق ومضى... إلخ. فإن علماء اللغة من المتقدمين والمحدثين لم يجمعوا على إقرار اتحاد المعنى بين المترادفات، وظلّ الترادف مجال أخذ وردّ، ما بين منكر ومؤيد، على نحو ما سنوضح فيما بعد، ولكن حسبنا القول هنا: أنّ الأصل تحمل كل كلمة معناها الدلالي الخاص بها دون اعتبار السياق المحيط بها. فكلمة (أمس)- مثلاً- تدلّ على اليوم قبل يومك. وكلمة (البارحة) تدلّ على أقرب ليلة مضت. غير أنّ الكلمات والأشياء قد تلتبس فيها أحياناً بعض المفاهيم فنخلط على مستوى الألفاظ بين مدركين معنويين، مثل (الخوف والرهبنة) فتحدث آنذاك عن (الترادف)، وهو الاشتراك في المعنى، أو بين الأشياء كالسيارة والشاحنة فيتعلق الأمر آنذاك بالتوارد، أي توارد الأفكار والخواطر حول مفهوميين متقاربين. هذا بالنسبة للمفرد، أما بالنسبة للترادف في العبارات، فلعلّ النص التالي يُلقي الضوء فيما نحن بصدد تحليله: (من الخطأ أن نجاري مل قيل من أنّ تداول العبارات المختلفة عن المعنى الواحد لا يضيره ولا يغيّر منه، لأن هاك عبارة أحقّ بالمعنى من أخرى غيرها، وعبارة ألصق بالمعنى من غيرها، وهناك

عبارة تمثل المعنى أمام العين أكثر من الأخرى. كذلك الكلمة يمكن مقارنتها بالكلمة الأخرى ويختلف معنى كلٍ منهما).⁵¹

ولكن يجب أن لا نغالي في التشبث في تحمّل الفروق بين المترادفات لصالح إنكار الترادف، طالما وقد صدرنا دراستنا ببيان أن ابن المرزبان يسعي في كتابه هذا- كما بدا لنا- أن يخدم منهجاً تعليمياً حين يعرض علينا ألواناً من حسن اختيار الألفاظ العبارات والتراكيب المناسبة، ولا يخفي أن اللغة وسيلة للتعبير عن الحاجات، كما أنها تسعي دوماً إلى التأنق في الاختيار، والإبداع القولي، وأنها للإمتاع كما هي للاستعمال.

وخلاصة القول فإن الترادف ثروة لفظية، وأنه لا يخلو من مزايا، منها: كثرة الطرق للإخبار عمّا في النفس، واختيار الأنسب والأظهر بين الألفاظ، ولا يخلو من الترويح وإمتاع أو مبالغة وتأنق.

ويقول عبد القاهر الجرجاني: (ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مقرونتين نحو (قعد وجلس) ولكن فيما فهم من مجموع كلام آخر نحو أن نظر في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصص حياة﴾ [سورة البقرة: 179]، وقول الناس: (قتلُ البعض إحياء للجميع) فإنه وإن كان قد جرّت عادة الناس بأن يقولوا في مثل هذا: إنهما عبارتان معبرهما واحد: فليس هذا القول قولاً منهم يمكن الأخذ بظاهره، أو يقع لعاقِل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من آخر).⁵²

وكتب سيد في استعمال لفظة (القارعة) ما يلقي صورة الفرع والطم. من تناسق العرض أن تسمي بالقارعة، ليتسّق الظل الذي يليه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلّها، مع منظر الناس كالفرّاش المبتوث، والجبال كالعهن المنفوش.⁵³

عودة إلى مناقشة الأمثلة، وذلك للتعرف على القيمة العلمية لكتاب ابن المرزبان، فأنت تستطيع قراءة التراكيب أفقياً (المدخل: 164 و 165 و 166 و 167 و 168) على النحو الآتي:

1. إنه لما كان الرؤساء/ ينعمون النظر/ في اصطناع من يصطفون لخدمتهم/ فيتوخون/ أقربهم سبباً.
2. = = = أهل السيادة/ يتفقون الرأي/ = = = يستصلحون لصحبتهم/ فيعتقدون/ أصدقهم مودة وقدماً.

⁵¹ انظر: إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ٢، ١٩٥٢م)، ص ٢٩٩.

⁵² انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: فايز الداية، (دمشق: دار قتيبة، ط ١، ١٩٨٣م)، ص 183؛ وانظر للمزيد من نفس الكتاب: ص ٢٩٠، ٢٩١، ٣٢٥.

⁵³ انظر: سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، (القاهرة: دار الفكر، ط ٧، ١٩٨٠م)، ص ٦٦.

(متنوّعة) = = = البانون للمجد/ يشحذون التدبير/ = = = يؤثّلون الكفاية منه/ فيقصدون/ أكملهم نفاذاً.
أي أنك تستطيع أن تختار أيّاً من عبارات مدخل 164 وتكمل التركيب باختيار المناسب من المداخل الأخرى.
لأننا نلاحظ عدم تساوي العبارات في مجموع المداخل عدداً.

أما العبارات (أشبه الجمل) فإنها تُقرأ عمودياً، على النحو التالي:

● إنّه لما كان الرؤساء...؟! = = = أولو الفضل...؟! = = = مقتنو السؤدد...؟! = = = زائدو المعروف...؟! .. وهلمجرأ.

● أو ينعمون النظر...؟! .. يجيلون الفكر...؟! .. يجتهدون في الاختيار...؟! .. يعزمون بالعقل...؟! .. وهلمجرأ.
● أو في اصطناع من يصطفون لخدمتهم...؟! .. يختارون لاصطناعهم...؟! .. يرونه للسعي في أمورهم...؟! .. ينهضونه في أسابهم...؟! .. وهلمجرأ.

● أو فيتوحّون...؟! .. فيصطنعون...؟! .. يستخدمون...؟! .. يحتذون...؟! .. وهلمجرأ.

● أو أقربهم سبباً. أسلسلهم في طاعتهم انقياداً. أوجبهم لحقّه أداءً. أمحضهم نيّةً. وهلمجرأ.

أما الألفاظ المفردة فتقرأ عمودياً، على النحو التالي:

● (الرؤساء، أهل السيادة، زائدو المعروف، المتبرعون بالعرف، الموفون بعهد الولاء).. وهلمجرأ.

● أو (السيادة، الفضل، السؤدد، المجد، الرئاسة).. وهلمجرأ.

● أو (يجتهدون، يتقفون، يشحذون، يجيلون، يتأملون).. وهلمجرأ.

● أو (النظر، الرأي، الفكر، التمييز، اللب).. وهلمجرأ.

● أو (يصطفون، يختارون، يتنافسون، يقضون).. وهلمجرأ.

● أو (خدمة، مهمّ، أمر، شأن، سبب).. وهلمجرأ.

● أو (توحّى، عقد، اصطنع، استرق، استخدم).. وهلمجرأ.

● أو (أصدق، أسلس، أوجب، أبرع، أكمل).. وهلمجرأ.

● أو (آلة، أداة، يد، براعة).. وهلمجرأ.

وعلى العموم فمن أي جهة رغبت في القراءة والانتفاع اهتديت إلى بغيتك، فأنت أمام اختيارات متعددة، وكلها ممكنة، والحكم فيها إلى الحسّ اللغوي، وحاجة التعبير، ثم إنّ القارئ لا يحتاج المعجم؛ لأنّ ما يعرفه يفيسّر ما غلق عليه، فضلاً عن خلو الألفاظ من الغريب والغامض الحوْشِيّ. وتبقى بعد ذلك ملاحظات متفرقة يحسن أن نشير إليها:

- هذا اللون من الجمل الإنشائية يطلق عليه في الدراسات اللغوية الحديثة التعبير المماثل Paraphrase =، وذلك حين تملك عبارتان نفس المعنى في اللغة الواحدة، وقد سماه بعض القدامى بالترادف وأحياناً بالمتوارد، مثل: أصْلَحَ الفاسد، ومَّ الشَّعث، ورَتَّقَ الفَتق، وشَعَبَ الصَّدع.⁵⁴ ومثاله مما جاء عن ابن المرزبان: مدخل 313 x باب: قوّة لا تُرام، ويَدّ لا تُعلي، ورفعة لا تُطاول، وعزة لا تُناصب، وجلالة لا تساوى، ودرجة لا تُوازي، وسلطان لا يغالب، ورتبة لا تضاهي، وسابق لا يباري، وكريم لا يُجاري، وجواد لا يجاور، وسموق لا يُداني.

والملاحظ في الأمثلة السابقة أن معيار الترادف فيها هو مجرد التشابه في المعنى لا التطابق فيه، فالمعنى في (قوة لا تُرام) لا يتطابق كلية مع: (كريم لا يجاري)؛ ولكن قد نلاحظ إمكانية تناول بعض الكلمات في السياقات السابقة مثل: (درجة لا توازي)، و(رتبة لا تضاهي).

وفي الألفاظ المفرد نلاحظ الفروق واضحة في مثل: عزة وسابق، ويد ورفعة. وأحياناً تبدو الكلمات متقاربة جداً في مثل: تُعلى وتطاول، يباري ويجاري.

وعليه لا يمكن القول بالترادف التام في عبارات ابن المرزبان - على الرغم من إمكانية التبادل بين كلمتين في بعض السياقات (يد، كريم)، وأنا قد نجد فروقاً واضحة بين بعض الكلمات (سابق، كريم) أو أنّ بعض الكلمات تحمل عمومية أو شمولاً أكثر من غيرها (درجة، سلطان). أو أنّ بعض الكلمات تتميز باستحسان أكثر من غيرها (قوة، جلالة) أو أنّ أحدهما أكثر تخصصية من الأخرى (رفعة، رتبة).. أقول: إن هذا يجعلنا نميل إلى الأخذ بالقول: إن الترادف على مستوى التراكيب يكاد يكون مستحيلاً، لأن من شأن المعاني أن تختلف باختلاف التراكيب والصور اللغوية المؤدية لها.

والحق أن هذه القضية قلّ من خض فيها من اللغويين العرب القدامى، والذي تناولها فأوضح جوانبها هو عبد القاهر الجرجاني، وآراؤه بخصوصها تتفق في مجموعها مع ما يذهب إليها اللغويون المحدثون كما أوضحنا، والرأي عند

⁵⁴ انظر: السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، ص 407.

عبد القاهر أنه لا ترادف إطلاقاً على مستوى التراكيب وذلك راجع عنده إلى مبدأ يراه واضحاً في ذهنه مؤداه (أن من شأن المعاني أن تختلف باختلاف الصور).

ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن ننكر التقارب في المعنى في جميع سياقات ابن المرزبان ضم المجموعة الواحدة (المدخل)، وأنّ العبارات المختارة تبدو متقاربة بدرجة أكثر في مجموعنا، كما سبق إيضاحه، وما أسمىناه بالتماثل أو التكافؤ. Paraphrase.

● كتاب الألفاظ لابن المرزبان ليس كتاباً في الترادف على أيّ من مستوياته الثلاثة (المفردة والعبارة والتراكيب)، وإن وقع فيه ترادف جزئي فإنه ليس مقصوداً لذاته، وإنما غرض ابن المرزبان تقديم أمثلة ونماذج تطبيقية ترتقي بمستخدم اللغة على حسن الأداء اللغوي والكتابي، ولعلّ أقرب مصنف له في كتب الترادف هو كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (ت ٣٢٠هـ)، وكلاهما جدير بالوصف: (لا يستغني عنه طالب علم)؛ إلا أن كتاب ابن المرزبان أوضح منهجاً وأكثر التزاماً بتغليب الجانب التطبيقي على حساب الجانب النظري من خلال عباراته الجزلة، والأكثر شيوعاً في الاستخدام تساعد في تنمية مهارة الكتابة عن طريق ما توفّره من الأمثلة من التراكيب اللغوية المستعملة. وباختصار فهو من متممات كتب اللغة والأدب، ومرجع لتعليم اللغة عن طريق السياق.

سادساً: مطالب الأمثال في كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير

1. مطلب في التهاني والتهادي في كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير

- جعله الله باراً تقياً...⁵⁵ سعيد حميد، سعيداً حميداً. ميموناً مباركاً، طيباً عزيزاً، ظهيراً عوناً، ناصرراً وزراً، راجحاً ذوّاداً⁵⁶...

2. مطلب فيما يقال في جوابات العزاء والمصاب

- فلا انشعاب لصدعها،⁵⁷ ولا اندمال مجرحها، ولا انسداد لثلمها، ولا جبر لكسرهما، ولا أسو لكلمها، ولا رقع لخرقها، ولا رتق لفتقها، ولا راب لصدعها، ولا حسم لدائها، ولا ضم لنشرها.

⁵⁵ انظر: ابن المرزبان، كتاب الألفاظ، ص ٨١.

⁵⁶ انظر: المرجع السابق، الذوّاد: الدّفاع والحامي.

⁵⁷ انظر: المرجع السابق، ص ١٢٠.

3. مطلب في الشكر في كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير⁵⁸
 = وأولاه بالحمد = = أقمناه بالثناء = = أحقّه بالشكر = = أحراره بالمدائح = = أحجاه بالاعتداد = =
 = أشكله بالتعظيم = = أجدره بالتبجيل = = أخلقه بالتفريط = = أخطاه بالتطرية = = أخيله بالتكريم.
4. مطلب في الأعذار في كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير⁵⁹
 = ذنبي وإن عَظُمَ...، (الذَّنْب) = = جُرْمِي وَإِنْ جَسَمَ = = زَلَّتِي وَإِنْ جَلَّتْ = =
 = اقترافي وإن طال = = اجتراحي جرمتي وإن اشدَّتْ = = جريرتي وإن استُفْظَعَتْ.
5. مطلب آخر في الطلب (المدح بشرف الأصل) في كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير⁶⁰
 = أنت دعامةٌ من دعائم الكرم = = ركنٌ من أركان الجود = = عينٌ من أعيان الزمان = = حليةٌ من حلى الإخوان =
 = = أسٌ من أساس المروءة = = معدنٌ من معادن الفضل = = عُنْصُرٌ من عناصر المجد = = فَنَنْ من أفنان
 = الإحسان = = طَوْذٌ من أطواد الفخر = = عَلَمٌ من أعلام التكرم = = غُصْنٌ من أغصان المعالي.
6. مطلب في الشوارد في كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير⁶¹
 = باب: ما تحركت به الضمائر = = ولا هَجَسَتْ به الخواطر = = ولا تُصَوِّر في الوهم = = ولا جال في فكر = =
 = ولا جرى في الظن = = ولا عَلَقَ بالوهم = = ولا حَطَرَ ببال = = ولا أَلْقِي في روع = = ولا وَقَعَ في حُلْدٍ =
 = = ولا سبق إليه وهم = =
 = ولا حالف شك.

الخاتمة والنتائج:

توصّلت الباحثة في نهاية الدِّراسة إلى عدّة نتائج، نعرضها فيما يأتي:

⁵⁸ انظر: المرجع السابق، ص ١٢٣.

^{٥٥} انظر: المرجع السابق، ص ١٤٣.

⁶⁰ انظر: المرجع السابق، ص ١٤٥.

⁶¹ انظر: المرجع السابق، ص ١٤٨.

1. لا يقتصر موضوع الدلالة على المسائل التي تتصل بالألفاظ من حيث أصلها ونوع العلاقة التي تربطها بالمعنى التي تشير إليها.
2. يتعدى موضوع الدلالة إلى جانب أعنى وأوسع، هو أنواع الدلالة؛ فألفاظ اللغة من حيث دلالاتها أنواع ثلاثة هي: المتباين والمشارك والمترادف.
3. برز لنا إسهامات ابن المرزبان الباحث في مجال الدرس اللغوي ولاسيما دلالات الألفاظ ومعانيها المختلفة.

المصادر والمراجع

- ابن المرزبان، أبو منصور محمد بن سهل (١٩٩١م). كتاب الألفاظ: الكتابة والتعبير (ت ٣٣٠م). حامد صادق قنبي (تحقيق). عمّان: دار البشير.
- ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق. (١٩٧١م). كتاب الفهرست. رضا تجدد (تحقيق). طهران.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل أبو المرسى. (١٩٩٦م). المخصص. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن فارس، أبو حسين أحمد (ت ٣٩٥هـ). (١٩١٠م). الصحاحي. القاهرة: المكتبة السلفية.
- ابن فارس، أحمد. (١٩٦٩م). معجم مقاييس اللغة. القاهرة: دار العلوم.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٦٨م). لسان العرب. المجلد الحادي عشر. بيروت: دار صادر.
- آل ياسين، محمد حسين. (١٩٨٠م). الدراسات اللغوية عند العرب. (ط ١). بيروت: دار مكتبة الحياة.

البركاوي، عبد الفتاح. (٢٠٠٠م). في الدلالة اللغوية. القاهرة: الأزهر، كلية اللغة العربية.

البغدادي، إسماعيل باشا. (١٩٠١م). هدية العارفين. بغداد: مكتبة المثنى.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (المتوفي ٤٣٠هـ). (٢٠٠٠م). فقه اللغة وسرّ العربية. (ط٢). بيروت: المكتبة العصرية.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد. 1983م. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، القاهرة: دار الكتب
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبدالقاهر. (د.ت). محمد خلف الله، محمد زغلول سلام (تحقيق).
القاهرة: دار المعارف.

الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٨٣م). دلائل الإعجاز. فايز الداية (تحقيق). (ط١). دمشق: دار قتيبة.

الجوهري، أبو إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ). (١٩٩٩م). الصحاح. (ط١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الحاج عبد الله، محمد بخير. (٢٠١٠م). مباحث في علم الدلالة. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية.

حسان، تمام. (١٩٦٠م). مناهج البحث في اللغة. القاهرة: الأنجلو المصرية.

الدقاق، عمر. (د.ت). مصادر التراث العربي. دمشق: دار الشرق.

رضا، أحمد. (١٣٧٧-١٣٨٠هـ). معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة. بيروت: دار مكتبة الحياة.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. (١٩٨٧م). الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى. محمد محمود الرفاعي (نشر). القاهرة:
دار الوفاء.

الزركلي، خير الدين. (د.ت). الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين.

سلامة، إبراهيم. (١٩٥٢م). بلاغة أرسطو بين العرب واليونان. (ط٢). القاهرة: الأنجلو المصرية.

السلامي، عبد القادر. (٢٠١٤م). من تراث العرب في المعجم والدلالة، بيروت: دار الكتاب الجامعي.

سيبويه، عمرو بن عثمان. (٢٠١٤م). الكتاب. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين. (د.ت). المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون. بيروت: دار الفكر.

ششن، رمضان. (1967م). الأمل والمأمول. (ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد.

عبد الجواد، رجب. (٢٠١٦م). دراسات في الدلالة والمعجم. القاهرة: دار الآفاق العربية.

عمر، أحمد مختار. (١٩٩٣م). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥م). القاموس المحيط. (ط٨). بيروت: مؤسسة الرسالة.

قطب، سيد. (١٩٨٠م). مشاهد القيامة في القرآن. (ط٧). دمشق: دار الفكر.

قنبي، حامد صادق. (١٩٩١م). دراسات في تأصيل المعربات والمصطلح. (ط١). بيروت: دار الجيل.

كخالة، عمر رضا. (١٩٦١م). معجم الأدباء. دمشق: طبعة.

لوشن، نور الهدى. (٢٠٠٦م). علم الدلالة: دراسة وتطبيق. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

موان، جورج. (١٩٨٢م). علم اللغة في القرن العشرين. نجيب غزاوي (ترجمة). (ط ١). دمشق: وزارة التعليم العالي.